المنهج التأريخي لأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في السيرة النبوية من خلال كتابة دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة

م.د محمد نعمه طاهر الصريفي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بحثنا هذا بعنوان (المنهج التأريخي لأبي بكر البيهقي(ت ٤٥٨ هـ) في السيرة النبوية من خلال كتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة).

كان للتدوين التاريخي عن المسلمين أهمية بالغة في نقل الحديث والرواية التأريخية في مختلف عصورها الاسلامية ، لأن الحركة العملية في بدايتها لم تعرف التخصص إذ كانت مجالس العلم تجمع بين التاريخ والقصص والشعر والكلام حول القرآن الكريم وترديد احاديث منسوبة للنبي محمد (ﷺ) فالإسناد كان هو السمة المشتركة في رواية احداث التاريخ والسيرة فكل راوي له منهج يتبعه في نقلها في قوته وضعفة وان اختلف مع من خالفه، لذا نجد البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) يريد ان يجعل أثار النبي (ﷺ) موافقة لقول واحد من العلماء دون الآخر ليميز بين صحيحها وسقيمها، وعلى الرغم من وجود كثر ممن عاصروه، وبرغم وجود الانتقاد لاسلوبه وهذا لايمنعه في اتباع منهجه التاريخي في التدوين، وهذا الاختلاف موجود في اسلوب كل كاتب ابان العصور الاسلامية.

وقد تم تقسيم البحث الى تمهيد وثلاثة مباحث تناولت في المبحث الاول عصره ومكانته العلمية وفي المبحث الثاني ذكر عدداً من شيوخه وتلامذته وفي المبحث الثالث تناولت منهجه في كتابه دلائل النبوة ثم ختم المبحث بخلاصة ومن ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع الذي اعتمد عليه البحث.

ولله المنة علينا واليه المصير

الباحث

تمهيد

إن ظهور الاسلام وانتشاره الواسع كان يشكل دافعاً حقيقياً شجع المسلمين على الاهتمام بالتدوين التاريخي. إن ذكر القرآن الكريم للأنبياء والامم كان له اثر كبيرفي تحفيز الاهتمام بتدوين تأريخ الأنبياء وتاريخ الامم[١].

وبما أن القرآن الكريم كان محفزاً ومشجعاً للمسلمين على الاهتمام بالتدوين التاريخي، فقد كان في أول الامر ممتزجاً برواية الحديث وتفسير القرآن الكريم، وذلك لان المسلمين احتاجوا الى تدوين الاحداث التاريخية والتحقق في مناسباتها التي نزلت فيها الآيات القرآنية والمشاهد التي وردت فيها الاحاديث النبوية الشريفة لذا عمدوا الى جمع وتدوين اخبار السيرة النبوية قبل كل شيء، وصار همهم جمع الاحاديث النبوية ممن سمعها او رواها عن احد سامعيها بالاسناد المتسلسل[٢].

وإن اهتمام المسلمين بالسيرة النبوية الشريفة وحرصهم على حفظها، ليس لغرض التبرك فحسب، بل لأغراض تعبدية تارة، ولأغراض التأسي والتبليغ تارة اخرى، الامر الذي جعل من سيرة النبي (ﷺ) في السلم والحرب، أول ماعني به المسلمون ما يتصل بالتاريخ رواية وتدويناً[٣]

وبما أن التدوين التاريخي عند المسلمين مرّ بمراحل عدة وكانت المرحلة الاولى هي مرحلة التدوين الشخصي الاولي، والتي تمثل كل ما يجمعه بعض الاشخاص من طبقة الصحابة لأنفسهم ، من اجل الحفظ

والاستذكار والرجوع اليه لغرض روايته شفاهاً، على من يحضر مجالسهم ، ومن اعلامهم في هذه المرحلة سعيد بن سعد بن عبادة، والمرحلة الثانية هي مرحلة التدوين التاريخي الجزئي، والتي ظهرت الكتابة منذ حكومة الإمام علي (عليه السلام) الذي دعا مباشرة الى الكتابة وأملى على مستمعيه، فكتبوا من أملائه الشيء، وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة ظهور المدونات التاريخية المتكاملة، والتي ظهر فيها عرض شامل لمرحلة المؤرخ، وظهر في هذه المرحلة ظهور الكتب التاريخية المنوعة[٤].

أما المرحلة الرابعة وفيها اتسم التدوين التاريخي، بصفة تدوين وتوحيد التاريخ الاسلامي، باستيعاب التاريخ من عصر عرب ما قبل الاسلام ومروراً بميلاد الرسول (ص) ونشاءته وسيرته الكاملة ومن ثم اخبار الخلفاء حتى عصر المؤرخ، حسب ترتيب السنين، اي جاءت المرحلة في عرض متسلسل ومنظم وبوجود تاريخ البشرية بذكر تاريخ الانبياء واقوامهم وتاريخ الحضارات الكبرى، وقد تميز بهذه المرحلة عدة مؤرخين منهم الطبري (ت ٣١٠ هـ)، والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) وغيرهم[٥].

المبحث الاول

اولاً: عصر البهيقي ومكانته العلمية:-

هو أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخراساني البيهقي، ولد في بيهق في سنة ٣٨٤ هـ، احدى قصبات نيسابور، وكنيته ابو بكر، واما لقبه فيلقب بالحافظ لحفظه الكثير في الحديث، وينسب الى مدينة خسروجرد، فيقال الخسروجردي البيهقي وقد رحل الى عدد من البلدان منها الكوفة ، ومكة ، وحلب ، ومن ثم الى نيسابور الى ان مات سنه ٤٥٨هـ، ونقل جثمانه على بلدة (بيهق)[٦].

ويعد من المحدثين ، صاحب التصانيف الجليلة والاثار المنيرة تتلمذ على جهابذة عصر وعلماء وقته وشهد له بذلك العلماء، وكان واحداً من رجال زمانه في الحفظ والإتقان، حسن التصنيف وجمع في علم الحديث والفقه والاصول[٧].

وقد ذكرت المصادر مكانته العلمية إذ أنه الحافظ الفقيه الاصولي، الزاهد الورع، القائم في نصرة المذهب الشافعي، واخذ علم الحديث عن الحاكم النيسابوري، وكان كثير التحقيق والانصاف في التصنيف[٨].

وقد ذكر في تذكرة الحفاظ قال: ما من شافعي الا وللشافعي عليه منه، الا ابا بكر البيهقي فان له المنة على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه، وقال: لو شاء البيهقي ان يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك[٩].

وذكر السمعاني، أن أبا بكر البيهقي كان اماماً، وجمع كتاباً اسماه كتاب المبسوط، وتفقه على يد أبي الفتح ناصر المروزي[١٠].

ولم ترد الينا بعض المعلومات من المصادر حول الحياة العلمية لاسرته وابائه، كما أنه ليس بالإمكان اثبات ماورد في الحياة العلمية والسياسية لأحد من أبائه واقاربه[١١].

ويعد البيهقي من اعلام الفقه الشافعي وقد افاض مؤرخو الطبقات في بيان اثره واضافاته على هذا المذهب ولعل خير من يقوم اثر البيهقي في الفقه الشافعي وهو يرجع الى تفقه البارع ومعاصرة عبد الملك الجويني [١٢].

ثانيا": شيوخه

تتلمذ البهيقي على يد عدد كبير من العلماء، وقد بلغ شيوخه اكثر من مائة شيخ ، من أهمهم :

- الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي (ت ٣٩٧ هـ)، وهو اكبر شيخ له.
- الشيخ أبو طاهر محمد بن محمد الزيادي (ت٤١٠ هـ).
- الشيخ ابو عبدالله الحافظ الحاكم (ت ٤٠٥ هـ).
- الشيخ أبراهيم بن محمد بن ابراهيم، ابو اسحاق الاسفراييني (ت ٤١٨ هـ).
- الشيخ أبراهيم بن محمد بن الحسن، ابو اسحاق الأرموي (ت ٤٠٥ هـ).
- الشيخ أبو الفتح المروزي الشافعي (ت ٤٢٠ هـ)، كان امام الشافعية في زمانه.
- الشيخ عبدالقادر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)، وهو احد اعلام الشافعية وهو صاحب كتاب الفرق بن الفرق.
- أبو سعيد بن الفضل الصيرفي (ت ٤٢١ هـ)، وكان من الثقات المأمونين[١٣].

تلامذته:

وقد تتلمذ على يد البيهقي عدد من العلماء والمؤلفين ورواة العلم والحديث، ممن نقلوا الحديث الشريف، وقد افاضت المصادر الاولية، وكذلك المراجع الحديثة في ذكر

نماذج من هؤلاء التلاميذ، وقد ذكر منهم، ولده اسماعيل وحفيده عبد الله وزاهد بن طاهر الشحامي ، ومن هؤلاء العلماء ابو زكريا يحيى بن منده الحافظ (ت٥١١ هـ) .[١٤].

ثالثاً: حياته العلمية

لقد نشأ البيهقي في بيئة قوي فيها الاتجاه العلمي بدليل كثرة العلماء المنسوبين الى بيهق في عصره[١٥].

ولعل هذا مما ساعد البيهقي على الاقبال على طلب العلم وشجعه على السير في هذا الطريق، ومن البديهي ان يكون القران الكريم اولى مواد الدراسة التي اتجه اليها واعتنى بها في وقت مبكر من حياته العلمية، بحكم نشأته في وسط اسلامي يربى الابناء على تعلم كتاب الله ثم اتجه الى علم الحديث واخذ في حفظه والتفقه فيه ودراسة متونه واسانيده، ويذكر ان البيهقي كتب الحديث وحفظه من صباه الى ان نشأ وتفقه وبرع فيه[١٦].

ولعل أستعداداته الفطرية ومنها الذكاء والمقدرة العالية على الحفظ من المقومات التي هيأت له المجال ليكون طالباً متميزاً في علم الحديث ثم عالماً من حفاظ الحديث الكبار[١٧].

المبحث الثاني

منهجه في كتابه:

وقد ذكرنا فيما سبق ومن خلال سيرته العلمية ومؤلفاته يتضح أن أهم ميادين عطائه العلمي هو علوم الحديث ومن ثم علوم الفقه وتاتي السيرة النبوية في اخر الاهتمامات العلمية وبرغم براعته فيها[١٨].

أي أن الحديث النبوي هو مجال اهتمامه الاول في مرحلة الطلب، ثم تبحر فيه جمعاً ورواية ونقداً ودراية الى ان صار من الحفاظ الذين انتفع بتصانيفهم في علم الحديث بعد اصحاب الكتب الستة[١٩].

ويشكل الفقه مجال اهتمامه الثاني فمن كتبه المفردة فيه "معرفة السنن والاثار" وكتاب المبسوط في نصوص الشافعي كما تم ذكره[٢٠].

وفي قول لمصنف الكتاب، البيهقي استخرت الله تعالى في الابتداء لهذا المصنف، بما أردته واستعنت به في اتمام ما قصدته مع ما نقل الينا من شرف اصله، وطهارة مولده ، وغير ذلك بما يتعلق بمعرفته (ﷺ) مع الاكتفاء بالصحيح من السقيم، والاجتزاء بالمعروف من الغريب والاعتماد على ما هو تقدم من الصحيح"[٢١].

واتخذ دلالة اخرى في رواياته التاريخية والتي تكون مقرونه بالقرائن المؤكدة لها سواء أكانت تلك القرائن على هيأت اية قرانية ام حديث نبوي شريف، ام موافقة لرواية راوٍ اخر ذكرها بسند مختلف[٢٢].

وبما أن كتاب دلائل النبوة اتخذ جانبين، المعنوي والحسي، فمن المعنوية، هو انزال القران على محمد (ﷺ) وصفاته واخلاقه[٢٣].

ولو استعرضنا مؤلفات البيهقي من الجانب التاريخي نلاحظ انه لا يكتب في التاريخ من اجل الرغبة المجردة في تسجيل احداثه، بل ان التاريخ العام عنده علم فرعي مساعد للعلوم الشرعية، وكما في مؤلفه لكتاب دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة[٢٤].

وبشكل عام يمكن القول بان الروايات التاريخية خارج مجال سيرة النبي (ﷺ) كانت محل عناية الامام البيهقي لاسباب منها:

- إبراز مناقب وفضائل الصحابة والعلماء والائمة، فله كتاب في فضائل الصحابة، الذي يستفاد منها في تاسيس احكام شرعية.
- الدفاع عن عقائد أهل السنة من الصحابة، ويتجه بسرد الرواية واتخاذ مواقف مفسرة للحدث[٢٥].
- إثبات صدق ما اخبر به رسول الله (ﷺ) من بشارات لأمته وانذار بحدوث وقائع معينة مستقبلاً، لذا كان ينهج بأيراد الخبر التاريخي وإثبات حقيقته عن طريق مقارنة القول النبوي المتضمن لاخبار بوضع مستقبلي بحالة وقعت بعد ذلك ينطبق عليها اوصاف الخبر النبوي، وقد غلب على البيهقي في مؤلفاته هو اتباع منهج اهل الحديث حيث ترد الرواية مسبوقة بالاسناد فترد من سلسلة الاسانيد[٢٦].
- واتبع منهج النقدي في قبوله للروايات في مراحل السيرة النبوية، دلالة عن صدق النبوة وصحة الرسالة، وكان تنظيمه للابواب وتعقيبه على الروايات، برغم كثرة مواد الكتاب وموضوعاته ومزجة بين السيرة كسياق عام وبين الدلائل والشمائل والمعجزات[٢٧].

ومن معالم منهجه ملاحظة التدرج التاريخي في اغلب الموضوعات، ولهذا فهيكل السيرة عنده لايبعد عن هيكل السيرة في المصادر الاولى التي سبقته، ويستثنى من ذلك موضوعات المعجزات والدعوات والاخبار، كنزول الوحي على الرسول (ﷺ) وظهور اثاره على وجهه، فتلك موضوعات راعى فيها عنصر الوحدة الموضوعية[٢٨].

ويدعم منهج الكتاب من الجانب التاريخي هو عنايته بالضبط الزماني للوقائع والاحداث، مثل تاريخ المولد النبوي، واتباعه في ذكر الاحصائيات لاعداد المشاركين في الغزوات، وممن استشهدوا من المسلمين في يوم احد وعدد قتلى المشركين[٢٩].

ومن سماته في منهجه حرص على إبراز الرابط الموضوعي، فهو يكرر استخدام مفردات مثل: أثار النبوة، دلائل النبوة، ودلالات الصدق[٣٠].

وذكر السمعاني، أن ابا بكر البيهقي، كان أماماً وجمع كتاب أسماه كتاب المبسوط، وتفقه على يد أبي الفتح ناصر المروزي كما ذكر سابقاً[٣١].

أما طبيعة المواد التي كان البيهقي يقوم بالقاء الدروس فيها فيتبين ما تذكره بعض المصادر ان مؤلفاته ومن ابرزها كتاب معرفة السنن والاثار، وكذلك مؤلفات شيخه الحاكم النيسابوري، وهي قوام دروسه[٣٢].

وبعد ان جمع نصوصه في كتابه المسمى بالمبسوط، وتصنيفه لمناقب الشافعي، ثم ان رجوعه الى بلده وصنف كتبه، وكان اول سماعه في اخر سنة (٣٩٩هـ) واول تصنيفه كان في سنة (٤٠٦هـ)[٣٣].

ويذكر ابن عساكر: ان المواضع التي نقلها البيهقي من كتب الشافعي بذكر حججه ودلايلة من الكتاب والسنه، فعاد الى نيسابور سنة ٤٤١هـ، وعقدوا له المجلس لقراءة ذلك الكتاب، وكان استدعاه من قبل ائمة عصره لسماعهم الكتاب لاحتوائه على أقاويل الشافعي[٣٤].

وفي رواية أخرى كان أول سماعه في آخر سنة ٣٩٩هـ واول تصنيفه في سنة ٤٠٦هـ ثم طلب الى نيسابور في سنة ٤٤١هـ لنشر العلم، فاجاب واقام بها مدة وحدث بتصانيفه ثم عاد الى بلده ثم قدم نيسابور ثانياً، وثالثاً توفى بها سنة ٤٥٨هـ وحمل الى بلده بيهق فدفن بها[٣٥].

وقد ذكر الذهبي: ان في سنة ٤٤١هـ اجتمعت الائمة وحضروا مجلسه لقراءة تصانيفه[٣٦].

وقد لقيت دروسه اقبالاً واسعاً من طلبة العلم لبراعته ومعرفته وافادته، ويشير الذهبي الى ذلك الاقبال فيذكر ان الطلبة قد تكاثروا عليه وسمعوا من كتبه وتصانيفه التي جلبت منها الى بلاد الشام والعراق[٣٧].

والواضح أن نيسابور قد استأثرت بعلم البيهقي وعطائه العلمي، وذلك يرجع الى قربه من موطنه بيهق التي عرفت بثراها العلمي[٣٨].

ويعد البيهقي من المكثرين في التاليف أي ان تصانيفه قد بلغت الف جزء، وقد عد الذهبي له ثلاثة وعشرين كتاباً[٣٩].

وهناك من يضيف الى كتبـــه، ومن ثم فإن كتب البهيقي تتفاوت بين المصنفات الكبرى مثل السنن الكبرى، وفي عشر مجلدات، ودلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة في أربعة مجلدات، والجامع لشعب

الايمان، ومعرفة السنن والاثار، والمبسوط في نصوص الشافعي والكثير من المصنفات مثل مناقب الامام الشافعي، وهناك الكثير من المؤلفات إلا ان من كتبوا عن البهيقي لم يشيروا اليها[٤٠].

وعلى أية حال فإن كثرة المؤلفات وتعددها ليس هو المقياس الوحيد لتقويم جهد المؤلف وقوة عطائه في مجال التاليف، أنما لابد أن يصاحب ذلك تنوع موضوعي واساليب ومناهج تناسب مادته العلمية.

ويتضح أن البيهقي من خلال مؤلفاته هو ان اهم ميادين عطائه العلمي هي الاول علوم الحديث والفقه ومن ثم السيرة النبوية، وكان الحديث هو مجال اهتمامه في مرحلة الطلب ثم تبحر فيه جمعاً ورواية ونقداً ودراية الى ان صار من الحفاظ الذين انتفع بتصانيفهم في علم الحديث كما تم ذكره[٤١].

وهذه المكانة العلمية التي توصل اليها جاءت من جهده وترحاله بين البلدان الاسلامية كرحلته الى خراسان لم يسبق سماع بغيرها فبدأ الرحلة قبل السماع كما قصد العراق قاصداً حاضره العلم والعلماء في ذلك الوقت وسمع من علمائها، وسافر ايضاً الى الحجاز قاصداً مكة لأداء فريضة الحج، وفرصة للاستفادة من علمائها[٤٢].

المبحث الثالث

منهجه في كتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:-

من خلال سيرته العلمية ومن خلال مؤلفاته يتضح ان اهم ميادين عطائه العلمي هي الأول علوم الحديث، ومن ثم علوم الفقه وتاتي السيرة النبوية في آخر اهتماماته العلمية وبرغم براعته فيها، أي ان الحديث النبوي هو مجال اهتمامه الاول في مرحلة الطلب، ثم تبحر فيه جمعاً ورواية ونقداً ودراية الى ان صار من الحفاظ الذين انتفع بتصانيفهم في علم الحديث بعد اصحاب الكتب الستة[٤٣].

ويشكل الفقه مجال اهتمامه الثاني فمن كتبه المفردة فيه (معرفة السنن والاثار) وكتاب المبسوط في نصوص الشافعي كما تم ذكره[٤٤].

ولو اطلعنا على المصادر التاريخية وكتب المقارن وجدنا الى كتاب دلائل النبوة هو مقرون بالسيرة النبوية، ويجد الناظر لعنوان الكتاب الكثير من الاحاديث عن الدلائل التي ظهرت من سيرة الرسول (ﷺ)[٤٥].

وأدلة منهجه في دلائل النبوة، هو منهج السلف من شيوخه، اذ ان منهجهم قبول كل دليل، وعمد الى هذا وعزاها الى بعض مشايخه، فساقها مؤيداً وموضحاً، في كل باب من كتاب دلائل النبوة[٤٦].

وكان من يروي في حديث وقول يستند على شيوخه الذين سبقوه وعندما نطلع على كتابه في أي باب من أبوابه نجده يقول حدثنا او أخبرنا ابو عبدالله الحافظ، والذي يقصد به هو المحدث الحاكم النيسابوري، ويسند على ما حدثه او اخبره، ابو الحسين بن الفضل القطان وهو شيخ وثقة في الحديث، ت ٤١٥هـ، وكذلك تبدأ اسناد الرواية عن صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان بن الاشرس وهو امام وحافظ، وقد برع في الجمع

والتصنيف وبارع في الحفظ، وهو اعلم في عصره في العراق وخراسان، وكان قول البيهقي في كافة ابواب كتابه في الذكر، حدثني او أخبرني، والذي يشير الى شيوخه الذين ذكرهم سلفاً[٤٧].

ولدلائله في كتابه ايضاً هو القرآن الكريم ، اي ان ايراد بعض الروايات عن الحوادث التاريخية تكون مقرونه بالقرائن الموكدة سواء أكانت تلك القرائن على هيات آيه قرانية أم حديث نبوي شريف، أم موافقه لرواية راوٍ اخر ذكرها بسند مختلف[٤٨].

وقد نراه قد برز في السيرة، الجانب الفلسفي والكلامي وقارن الخوارق والنبؤات السابقة للانبياء والاصفياء والصالحين ومعاجزهم ومقارنتها بمعاجز الرسول (ﷺ)[٤٩].

ويمكن القول بأن الروايات التاريخية خارج مجال سيرة النبي (ﷺ) كانت محل عناية البيهقي، وذلك لابراز مناقب وفضائل الصحابة والائمة، فله كتاب في فضائل الصحابة، وكان دفاعه عن عقائد اهل السنه من الصحابة، واتخاذه مواقف مفسرة للحدث[٥٠].

وقد ذكر ابن كثير: انه اتبع المنهج النقدي في قبوله للروايات بعدة اسانيد، وكان تنظيمه للابواب وتعقيبه على الروايات برغم كثرة مواد الكتاب وموضوعاته ومزج السيرة كسياق عام، وبين الدلائل والشمائل والمعجزات[٥١].

ومن معالم منهجه ملاحظة التدرج التأريخي في اغلب الموضوعات، ولهذا فهيكل السيرة عنده لايبعد عن هيكل السيرة في مصادرها الاولية التي سبقته، ويستثنى من ذلك موضوعات المعجزات والدعوات والاخبار ، والتي راعى فيها عنصر الوحدة الموضوعية [٥٢].

ومن سماته في منهجه حرص على إبراز الرابط الموضوعي للحدث التأريخي [٥٣].

وكذلك استعمال البيهقي في كتابه النقد بين الروايات والاحاديث، وإبداء الأراء فيها، وهذا ما قاله: (وعادتي في كتبي المصنفة في الاصول والفروع – الاقتصار من الاخبار على ما يصح منها دون ما لايصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا

يصح، ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، لا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الاخبار مغمزاً فيها اعتمد عليه أهل السنه في الاثار)[٥٤].

مما يبدوا بإقبال البيهقي على هدفه أي البحث عن الدلائل، وحماسه له دفعه الى ابراز احداث ليس لها قيمة في الميزان النقدي ولا تصل الى مستوى الصحة الحديثية في نظر نقاد الحديث كالذهبي وابن كثير، كما أنه أدخل مرويات لا صلة لها بالسيرة، فمن ضمن الامثلة والاحاديث الموضوعة والضعيفة هو (قدوم صغير ابليس، هامة ابن هيم، التقاء الرسول (ﷺ) وغيرها من الروايات المكذوبة في نظر أبن كثير، وكما هي ضعيفة في نظر البيهقي، لكن ذلك لم يمنعه من التبويب لها وابرازها[٥٥].

ويذكر ابن كثير في نص الرواية التي أوردها البيهقي في كتابه دلائل النبوة، في باب ما روى في قدم هامه بن الهيم بن لاقيس بن ابليس على النبي (ﷺ) واسلامه: اخبرنا ابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنبأنا أبو نصر المروزي، ثنا عبدالله الاملي، عن ابن عمر (رض) بينما نحن قعود مع النبي (ﷺ) على جبل

من جبال تهامة اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي (ﷺ) فرد عليه السلام ثم قال: نغمة جن وغمغمتهم، من انت؟

قال: أنا هامه بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، فقال النبي (ﷺ): فما بينك وبين إبليس الا أيوان، فكم اتى لك من الدهر، قال: قد افنيت الدنيا عمرها الا قليلا ليال قتل قابيل هابيل كنت غلام ابن اعوام، افهم الكلام وأمر بالاكام، وأمر بأفساد الطعام وقطيعة الارحام[٥٦].

فقال رسول الله (ﷺ): بئس عمل الشيخ المتوسم، والشاب المتلوم.

وقد حصل كلام كثير وفي النهار قال هامة: يا رسول الله أفعل بي ما فعل بي موسى أنه علمني من التوراة، قال: فعلمه رسول الله (ﷺ): اذا وقعت الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وأذا الشمس كورت، والمعوذتين، وقل هو الله أحد.

ثم قال البيهقي: أين أبي معشر هذا قد روى عنه الكبار الا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه[٥٧].

ومن باب المعجزات مثل: باب ما جاء في المجاهد في سبيل الله، ومفادها: ((اقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق حماره، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين، ثم قال: اللهم أني من الدثينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وانا اشهد انك تحي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لاحد علي اليوم منة، أطلب اليك ان تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه. وقد علل أيراده لخبر هذا المجاهد بأنه من أمة صاحب الشريعة، أي لكرامتها[٥٨].

وقد أتبع البيهقي في كتابه مبدأ جمع أسانيد الروايات المتعددة في سند جمعي واحد، وذلك عندما تستوي مراتب الرواة وتتفق رواياتهم من حيث المعنى واللفظ[٥٩].

وقد سلك البيهقي في هذا الجمع للأسانيد، هو العطف بين شيوخه، وذلك فهو يروي الحادثة عن شخصين فأكثر من شيوخه عاطفاً بينهم (بالواو) ثم يذكر الاسناد والمتن لهذه الرواية[٦٠].

كرواية شق القمر بمكة في زمان رسول الله (ﷺ) أخبرنا ابو عبدالله الحافظ وابو طاهر الفقيه وأبو زكريا بن أبي أسحاق المزكي وابو سعيد بن أبي عمروا قالوا: حدتنا أسحاق بن بكر بن مضر عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس انه قال: ان القمر أنشق على زمان رسول الله (ﷺ)[٦١].

ورواها البخاري في صحيحه عن عثمان بن صالح عن بكر بن مضر ورواه مسلم عن موسى بن قريش عن اسحاق بن بكر بن مضر[٦٢].

ومن منهجيته هو تعداد الأسانيد وذكر المتن عقب الاسناد الاول للحديث او الرواية مع أستعمال عباره: (بمثله، بنحوه، فذكره بمعناه)[٦٣].

كرواية عن أبو عبدالله الحافظ قال اخبرني احمد بن محمد قال حدثنا حماد بن شاكر قال حدثنا محمد بن اسماعيل يعني البخاري، قال: حدثني يحيى بن سليمان فذكره وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر بن الخطاب،

سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في أسلامه وسائد الروايات تدل على ان هذا الكاهن أخبر بذلك عن روايته وسماعه والله اعلم(٦٤).

الخاتمة

بعد هذه الجولة في تسليط الضوء على منهج البيهقي في كتابه دلائل النبوة يمكن ان نستنتج النتائج التالية:

١. إن البيهقي من علماء الشافعية الذي أثري بعلومه في الحديث منذ السنين الاولى من عمره والذي عد من علماء عصره وبشهادة شيوخه.
٢. أظهر لنا البحث بان البيهقي لديه اهتمام كبير في علوم الحديث الشريف ومن ثم العلوم الاخرى.
٣. وجد أن رواياته التاريخية في السيرة النبوية من خلال كتابه الدلائل يقوم باسناد الرواية بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف.
٤. أظهر لنا البحث أن البيهقي برغم اهتمامه الأول في الحديث إلا أن الرواية التاريخية كان لها محل اهتمام لإظهار مناقب الصحابة والعلماء والدفاع عن عقيدة مذهبه الشافعي.
٥. نجده قد اتبع المنهج النقدي في قبول الروايات في السيرة النبوية وذلك لصدق النبوة والرسالة.
٦. ظهر في منهجه التاريخي اتباعه الضبط الزماني للوقائع والاحداث في حوادث السيرة النبوية.

الهوامش

[١] نصار، نشأت التدوين التاريخي عند المسلمين، ص ٣٢.

[٢] أدهم، بعض المؤرخين في الاسلام، ص ٨.

[٣] هوروفتس، تاريخ تدوين السيرة النبوية، ص ٢، ادهم، بعض مؤرخي الاسلام، ص ١٢.

[٤] عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ٥٢.

[٥] الدوري، نشأت علم التاريخ عند العرب، ص ١١٥-١١٦.

[٦] ابن الجوري، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج ٩، ص ٤٦٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٣٧؛ الزهير، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٤.

[٧] السمعاني، الانساب، ج١، ص ٤٦١؛ ابن الجوري، المنتظم ، ج ٩، ص ٤٦٣.

[٨] الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٨.

[٩] الذهبي، تذكر الحافظ، ج ٣، ص ١١٣٢.

[١٠] السمعاني، الانساب، ج١، ص ٤٦١، والمروزي، هو ابي الفتح ناصر ابن الحسين بن محمد القرشي المروزي الشافعي، توفي في مدينة نيسابور من سنه (٤٤٤هـ)، للتفاصيل: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٢١.

[١١] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٧.

[١٢] هو ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، فقيه شافعي اشعري ومن أبرز علماء الدين في عصره ، وقد برع بعلوم الفقه والاصول والعقائد ومن العلماء الذين حفظوا القرآن الكريم ، توفي نيسابور سنة (٤٧٨هـ)، ينظر: السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٦٢.

[١٣] السمعاني، الانساب، ج١، ص ٤٦٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٨؛ النحال، اتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي، ص ٩٢.

[١٤] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٩؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٤، ص٩.

[١٥] ابن عساكر، تبين كذب المفتري في ما نسب لابي الحسن الاشعري، ص٢٦٦.

[١٦] المصدر نفسه .

[١٧] السبكي، طبقات الشافعية، ج ٤، ص٩.

[١٨] ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص١٢٥.

[١٩] المصدر نفسه.

[٢٠] المصدر نفسه.

[٢١] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٦٩.

[٢٢] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص ١٥١.

[٢٣] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٧٢.

[٢٤] ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص١٢٩.

[٢٥] المصدر نفسه.

[٢٦] ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص١٣١.

[٢٧] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٧.

[٢٨] الذهبي، تذكرة الحافظ، ج٤، ص ١٣٤٢.

[٢٩] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٧.

[٣٠] المصدر نفسه.

[٣١] السمعاني، الانساب، ج١، ص٤٦١.

[٣٢] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣، ص ٤٤١.

[٣٣] الاسنوري، طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٩.

[٣٤] ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص٢٦٧.

[٣٥] ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٤٦٣؛ الاسنوري، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٠٠.

[٣٦] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣، ص ٤٣٩.

[٣٧] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٨.

[٣٨] المصدر نفسه، ص ١٦٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١٢.

[٣٩] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٦٩.

[٤٠] ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص ١٢٢-١٢٣.

[٤١] سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١، ص٢٢.

[٤٢] الغامدي، البيهقي وموقفه من الالهيات، ص ٤١-٤٢.

[٤٣] ابن فندمة، تاريخ بيهق، ص١٢٥.

[٤٤] الغامدي، البيهقي وموقفه من الالهيات، ص٥١.

[٤٥] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٦٩.

[٤٦] الغامدي، البيهقي وموقفه من الالهيات، ص٤٣.

[٤٧] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص١٥٤-١٥٥؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٠١ و ص٢٥٤؛ الغامدي، البيهقي وموقفه من الالهيات، ص٤٣.

[٤٨] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص١٥١.

[٤٩] المصدر نفسه، ص٦٩.

[٥٠] ابن فندمة، تاريخ البيهق، ص١٢٩.

[٥١] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٧.

[٥٢] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٣٤٢.

[٥٣] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٧.

[٥٤] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٤٧.

[٥٥] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٣؛ ابن فندمة، تاريخ البيهق، ص١٦٢.

[٥٦] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٦٨.

[٥٧] المصدر نفسه.

[٥٨] ابن فندمة، تاريخ البيهق، ص١٦٣؛ المقريزي، امتاع الاسماع، ج ٥، ص ٢٨٤.

[٥٩] الصالح، صبحي، علوم الحديث و مصطلحه، ص ٢٨٠.

[٦٠] الصالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه،ص٢٨٠ .

[٦١] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٢٦٧.

[٦٢] المصدر نفسه.

[٦٣] المصدر نفسه .

[٦٤] البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٢٤٥؛ ابن كثير، تفسير بن كثير، مج٤، ص١٨٢.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: القرآن خير ما يبتدأ به

ثانياً: المصادر:

١- أبن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي المكرم، ت ٦٣٠ هـ.

- الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٢).

٢- أبن الجوزي، جمال الدين ابن الفرج ، ت ٥٩٧ هـ.

- المنتظم في تواريخ الملوك والامم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت -١٩٩٥).

٣- أبن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، ت٥٧١هـ.

- تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري، علق عليه: محمد زاهد الكوثري، الناشر المكتبة الازهرية ، (القاهرة- بلا تاريخ).

٤- أبن فندمه، ابو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي، ت ٥٦٥ هـ.

- تاريخ بيهق، دار اقرأ، (دمشق- ١٤٢٥هـ).

٥- أبن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير، ت ٧٧٤هـ.

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت -١٩٩٠).

٦- الأسنوري، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، ت ٧٧٢ هـ.

- طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (بيروت- ٢٠٠٢).

٧- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت ٤٥٨ هـ.

- دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٨٨).

٨- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين، ت ٧٤٨ هـ.

- تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، (بيروت- بلا تاريخ).
- سيرة اعلام النبلاء، مؤسسه الرسالة، (بلا -٢٠٠١).
- تاريخ الاسلام، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الاسلامي (بلا- ٢٠٠٣).

٩- السمعاني، ابي سعيد عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢ هـ.

- الانساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت -١٩٩٨).

١٠- المقريزي، احمد بن علي بن عبد القادر ، ت٨٤٥هـ.

- امتاع الاسماع بما للنبي (ص) من الاحوال والاموال والحفده والمتاع ، تحقيق: محمد عبد الحميد ، دار الكتب العلمية،(بيروت – ١٩٩٩).

المراجع

١١- أدهم، علي (الدكتور).

- بعض مؤرخي الاسلام، مؤسسه النشر، (دمشق- ١٩٧٤).

١٢- الدوري، عبد العزيز.

- نشأت علم التاريخ عند العرب ، مركز زايد للنشر، (بلا مكان- بلا تاريخ).

١٣- سزكين، فواد.

- تاريخ التراث العربي، الناشر جامعة محمد بن سعود، (بلا مكان- ١٩٩١).

١٤- الصالح، صبحي.

- علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٨٤).

١٥- عبدالحميد، صائب.

- علم التاريخ ومناهج المؤرخين، مركز الغدير، (بيروت- ٢٠١٤).

١٦- الغامدي، احمد بن عطية.

- البيهقي وموقفة من الالهيات، الجامعة الاسلامية، (المدينة المنورة- ٢٠٠٢)

١٧- النحال، محمود عبد الفتاح.

- اتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي ، دار الميمان، (بلا - ٢٠١٠).

١٨- نصار، حسين.

- نشأت التدوين التاريخي عند المسلمين، دار اقرأ، (بيروت- ١٩٨٠).

١٩- هوروفتس، جوزيف.

- تاريخ تدوين السيرة النبوة، ترجمة وتحقيق: حسين نصار ومصطفى السقا، دار ومكتبة بيبليون،(لبنان- ٢٠٠٥).